

قراءات

عمارة بكوش (إشراف)، *التهيئة العمرانية والتنمية المستدامة¹*، منشورات مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، 2012، ص. 287.

هذا الكتاب هو نتاج لمشروع بحث تم القيام به في المركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية خلال الفترة الممتدة بين سنتي 2007 و 2009 حول "العمران ومنطق التهيئة العمرانية" والذي يجمع أيضا المشاركات التي تمّ عرضها في الملتقى الدولي حول: "التهيئة العمرانية والتنمية المستدامة" المنظم في الثالث والرابع من شهر نوفمبر 2009 بمشاركة جامعة العلوم و التكنولوجيا وجامعة السانبا بوهران.

ترتكز محتويات الكتاب، في تحليل منطق التهيئة العمرانية، على مبدأ تعدد المقاربات والتخصصات لباحثين في العلوم الإنسانية، مهندسين ومختصين في التهيئة العمرانية، وقد تمحور اللقاء حول إشكاليات مشتركة تخص العمران. لقد سمح هذا اللقاء بصياغة وإعادة مقاربة ومناقشة الأهداف الخاصة بالمجال المعقد للمدينة، إذ تمّ التركيز على التفكير حول المسائل المتعلقة بالتطورات التي تجعل مصطلح "التهيئة العمرانية" يتوافق مع مصطلح التنمية المستدامة والذي كان في صلب التساؤلات العامة.

تقدم محاور الدراسة التي تتطابق مع إشكالية الملتقى الدولي لمحة عامة حول توجهات مواضيع الأبحاث التي لها علاقة بالنمو الحضري، المحافظة على الإرث المعماري، الوقاية من المخاطر في المناطق الحضرية والأهداف الحضرية للنقل وطرق التنقل. حاولت الأوراق البحثية المتضمنة في المحور الأول من الكتاب المعنون بـ "النمو الحضري والتنمية المستدامة" التفكير في مسألة الجودة الحضرية وعلاقتها مع سيورة عصرنة المدن، وهنا تم التطرق لدور ومسؤولية المهندس المعماري في تجسيد هذا المشروع وكذا تأثير هذه المسألة على الممارسات والعلاقات الاجتماعية. كما تم التطرق، على النطاق الإقليمي الواسع، إلى ظاهرة تمدن الضواحي المحيطة بالمدينة التي تجعل مشكل الاستهلاك الجزئي للأراضي

¹ Bekkouche, A. (2012), *Aménagement urbain et développement durable*, Oran, éditions du Crasc, 2012.

الفلاحية دائماً ومستمرًا. وكان التساؤل حول نقص الاحترافية في إنتاج المناطق الحضرية الجديدة أهم ما تم طرحه للنقاش في المحور الأول من الكتاب. مثلت مواضيع الإرث الثقافي المعماري وعلاقاته بالحدثة مواضيع التحليل دعمت مضمون الكتاب، في محاولة لفهم العلاقة بين الفضاء الحضري والمجتمع الموجود ضمن ديناميكية لا يمكن إنكارها. تعتبر مسألة وضع مخطط للمحافظة على هذا الإرث المعماري وكذلك المحافظة على الهوية الخاصة به ومسألة عصرنته أهم الرهانات التي تواجه المدينة حالياً.

لم يغفل الكتاب مسألة الوقاية من المخاطر في المناطق الحضرية بل عرّج عليها في المحور الثالث، وقد كانت القراءة في النظرة النفعية للمهندسين من أجل دراسة إشكاليات الزلازل، تلوث الهواء والراحة بالنسبة لدرجات الحرارة مواضيع غاية في الأهمية، تهدف إلى البحث عن سبل الحد من الخطر الذي يُهدد المناطق الحضرية. اقتراح مخطط تسييري لتكوين مسيرين فيما يخص إجراءات تقييم الخطر، علاوة على ذلك التوصية بالرجوع إلى التكنولوجيات الجديدة لرسم الخرائط وإلى نظم الإنذار المبنية على تدابير وقائية مسبقة ودائمة تمثل إحدى التوصيات التي قدمها الباحثون المشاركون في هذا المحور.

فؤاد نوار

جان كلود غارسين، عن تاريخية "الليالي": "من أجل قراءة تاريخية لـ ألف ليلة وليلة²، باريس، سندباد-آكت سود، 2013، 816 ص.

يحكى أنه كان في قديم الزمان امرأة دفعت ملكاً نحو الجنون وإمرأة أخرى أعادته إلى الصواب. من ممّا لا يعرف الدافع الذي اختير بدايةً لـ "الليالي"؟ يشار إلى هذا الدافع ليلة بعد ليلة إلى أن يبلغ السرد الليلة الأولى بعد الألف وينجح في الأخير كمين حبّ المرأة الأخرى في تخليص الملك المجنون من دوامة الكراهية القاتلة التي ما كان ليقع فيها لولا مشهد خيانة زوجته الملكة. إنّها إحدى أشهر وأجمل الأعمال الأدبية العربية بل و العالمية أيضاً، وهو يحظى اليوم بدراسة جديدة

² Garcin, J.-C. (2013), *Pour une lecture historique des Mille et Une Nuits*, Paris, Sindbad Actes-Sud, 816 p.

أنجزها المؤرّخ والمستشرق الفرنسي جان كلود غارسين³ في كتاب صدر له حديثاً عن دار "سندباد-آكت سود" الفرنسية، تحت عنوان "من أجل قراءة تاريخية لـ"ألف ليلة وليلة"4".

توحى كلمات العنوان إلى أن الباحث سعى إلى وضع "الليالي" في سياقها التاريخي الخاص أي في وسطها وزمنها، وهذا على أي حال هو مسعى كل عمل تاريخي. فماذا إذن لو تعددت الأوساط والأزمنة كما هي الحال بالنسبة لـ"الليالي"؟ ما موقف المؤرّخ من موضوع ينتمي إلى المخيال وإلى الثقافة الشعبية؟ كيف يتعامل مع موضوع كهذا لأن يلمّ به؟ بصيغة أخرى، أي معنى تاريخي يمكن أن يستخرج من حكايات وقصص أوجدها الآخر؟ يقترح جان كلود غارسين رداً عن هذه التساؤلات في دراسته هذه تحليلاً تاريخياً نادر الجودة والجديّة لا لقصص "ألف ليلة وليلة" جملةً وإنما لطبعة بولاق للكتاب التي يعود نشرها إلى عام 1835، معتبراً أنّها الطبعة الوحيدة التي يستطيع المؤرّخ أن يستند إليها كموضوع تاريخي ينحدر من الوسط المصري" وهذا على الرغم مما جاء فيها من "أخطاء مطبعية وغيرها من نقائص".

بدءاً، يقودنا غارسين في البداية إلى أجواء مطبعة بولاق في ثلاثينات القرن التاسع عشر حيث كان نشاط المطبعة يدور حول التراجم المكثفة لكتب مهنيّة نقلت من اللغة الفرنسيّة بصفة خاصّة، بالإضافة إلى كتب مدرسيّة لقواعد اللغة وأخرى دينيّة. لكن يبدو أنّ الفترة تميّزت أيضاً بارتفاع نسبة بيع كتب الحكايات والطرائف وفي مقدمتها كتاب "ألف ليلة وليلة"، في العام 1835، ثمّ، في سنة 1836، "كتاب كليلة ودمنة".

³ جان كلود غارسين أستاذ شرقيّ بجامعة "أكس أن بروفانس" الفرنسيّة، حيث كان يدرّس التاريخ الإسلاميّ وبالأخصّ تاريخ مصر في القرون الوسطى. من ضمن أبحاثه العديدة، نذكر هذين المقالين الذين صدرا مؤخراً: Garcin, J.-C. (2009), « Approche ottomane d'un conte des Mille et Une Nuits : "Aǧīb et Gharīb" », in *Mélanges en l'honneur d'André Raymond*, Iremam/ IFAO, p. 315-337 ; « Approche ottomane d'un conte des Mille et Une Nuits : "Umar al-Nu'mān" », in *Annales islamologiques*, n° 44, 2010, p. 237-293.

⁴ يشمل الكتاب كلمة شكر، فاتحة بقلم المستعرب الفرنسي الشهير، أندريه ميكال (André Miquel)، توطئة، مقدّمة تتكوّن من إحدى عشر جزءاً، ثلاثة فصول رئيسيّة واثنتا عشر فصلاً فرعياً، خاتمة تضمّ أربعة أجزاء، هوامش، مصادر وبيبليوغرافيا، قائمة رموز للمخطوطات، جدول شرح للوحات، جدول للحكايات حسب طبعتي بولاق وبريسلو (Breslau)، فهرس للحكايات والقصص، وينتهي بإشارة إلى الزملاء والباحثين الذين ساهموا بمساعدتهم في هذا الكتاب.

يحدّثنا غارسين، إلى جانب ذلك، عن ما سمّاه "مؤلف بولاق" وهو شيخ قاهريّ لا نعرف له إسمًا، يكون قد مات حوالي 1781، وقد ورد ذكره في "يوميات سفر" الرحالة الألماني سيتزن⁵ التي دوّنها سنة 1807. يقتفي غارسين خطى الشيخ المجهول ويخبرنا أنّه هو الذي انتقى الحكايات التي تتألف منها "الليالي" وضبط تنظيمها ثمّ تسلسلها، فيما يتتبع القارئ المؤرّخ في بحثه ويكتشف كيف أنجز "مؤلف بولاق" هذا العمل وفقاً لأيّ معايير، حوالي خمسين عاماً قبل صدور طبعة 1835.

يقول فلاديمير بروب في كتابه "بنية الحكايات": "لا شكّ أنّنا نستطيع دراسة الظواهر والأشياء التي تحيطنا من حيث تكوينها وبنيتها، وكذلك من حيث أصلها أو عبر المسارات والتحوّلات التي تؤثر عليها. لكن ثمة بدهة أخرى تستغني عن كلّ إثبات وهي أنّه لا يمكن الكلام عن أصل ظاهرة، مهما كانت، قبل وصفها"⁶. هكذا إذن يتناول غارسين طبعة بولاق لـ"الليالي" بالوصف والتحليل. من جهة، يتابع مسار الحكايات بصرامة، متخذاً المسافة اللازمة وكلّ الإشكال يكمن في تأريخ زمن ظهورها. ومن جهة أخرى، ينتقد، لكن بكامل الحياء، أعمال المستشرقين والباحثين العرب الذين اهتموا بدراسة "الليالي".

بالموازاة، يؤكد غارسين على أهميّة وضع "ليالي" بولاق تحت مجهر الاستقراء التاريخيّ ليس فقط لتسليط بعض الأضواء على تطوّر المناخ الثقافيّ والمناخ الفكريّ للوسطين السوري والمصري، ما بين القرن الخامس عشر والقرن الثامن عشر، بل أيضاً لتعميق معرفة تاريخ نصّ معقد من حيث البنية والدوافع. فحكايات "ألف ليلة وليلة" متشابكة إلى أقصى درجات التشابك، وما قام به غارسين هو تفكيكها انطلاقاً من محاولة فهم نوايا "مؤلف بولاق" ثمّ ناشر بولاق سنة 1835، الشيخ عبد الرحمن الصفتي الشرقاوي (توفي سنة 1848).

إنّ هذا الكتاب هو نتيجة مشروع طويل النفس ولقد أرادته جان كلود غارسين تكريماً للأستاذ والباحث الراحل باتريس كوسوني (1952-1989) الذي كان غارسين قد حفزه منذ ما يفوق الخمسة وعشرين عاماً على القيام بدراسة تاريخية عن "الليالي". وفعلاً، بدأ كوسوني آنذاك يحقق أمنية غارسين فنشر سنة 1985

⁵ Seetzen, U.-J. (1767–1811), *Reisen (Journal de voyage)*, Berlin, Kruse and Fleischer, 1854-59.

⁶ Propp, V. (1970), *Morphologie du conte*, Paris, du Seuil, p. 11.

مقالاً يحمل العنوان نفسه الذي تمّ اختياره اليوم للكتاب الحالي⁷. وفي سنة 1988، نشر كوسونى تقرير بحث نقديّ يتناول طبعة "مخطوطة غالان" لمحسن مهدي⁸. ولذا يشرح غارسين في توطئة كتابه أنّ ما دفعه إلى تشجيع كوسونى على إخضاع قصص "ألف ليلة وليلة" إلى مقارنة تاريخية هو بالضبط عدد المخطوطات الكبير جداً للكتاب، بل ولكلّ حكاية من حكاياته على حدّة.

بعد وفاة كوسونى، ظلّ المشروع متوقفاً إلى أن قرّر غارسين، قبل ستّ سنوات، استئنافه ولم يكن يدرى حينها إلى أين يقوده إبحاره في "الليالي"، إذ لم يكن يتوقع أنّه يعيد "وضع تاريخ جديد للنصوص" التي استقرأها وقارنها فيما بينها أو أنّه يقدّم "شرحاً مختلفاً للهدف الذي كان يتابعه من تكلف بجمعها". وهنا، تكمن بلا شك، أصالة هذا العمل الفريد من نوعه.

على غرار أستاذه المؤرّخ الفرنسي الشهير، كلود كاهين (1909-1991)، وبعد أن كرّس حياته لتاريخ العالم الإسلامي في العصور الوسطى، يبرهن جان كلود غارسين في كتابه الأخير هذا على معرفته الدقيقة بالمصادر والمراجع وسعة إطلاع عليها. يطرح التساؤلات والإشكاليات بكامل الموضوعية والتواضع لدرجة أنّه يصرّ على الاعتذار من زملائه في علم الأدب ما إن أثارت النتائج التي توصل إليها، بصفته مؤرخاً، معارضتهم أو تحفظهم. ذلك أنّ ما وصل إليه يتناقض حتماً مع الصورة التي وُضعت لـ"الليالي" منذ النصف الأوّل من القرن العشرين. لكن سرعان ما يقتنع القارئ بأنّ هذا الكتاب لم يسعَ أبداً إلى التقليل من أدبيّة "ألف ليلة وليلة" أو إلى نفيها بقدر ما سعى إلى البحث عن الحقيقة التاريخية لموضوع تاريخي، وإلى إيجاد تسلسل معقول للأحداث التي طبعت سياقه الخاص.

هكذا يعمل كتاب جان كلود غارسين "من أجل قراءة تاريخية لـ"ألف ليلة وليلة" على كسر الحدود بين الآداب والتاريخ بهدف إثراء حقل معرفتنا لماضي نصّ يستحقّ، ككلّ النصوص التي تنتمي إلى التراث الإنساني، أن تتسع آفاقه بدلاً من أن تنحصر داخل فضاء فكريّ واحد.

أسماء هند طنقور

⁷ Coussonnet, P. (1985), « Pour une lecture historique des *Mille et Une Nuits*. Essai d'analyse du conte des deux vizirs égyptiens », in *Institut des Belles Lettres Arabes*, n° 48, p. 85-115.

⁸ Coussonnet, P., « Muhsin Mahdī, *The Thousand and One Nights (Alf Layla wa-Layla)* from the earliest known sources », in *Bulletin critique des Annales islamologiques*, n° 5, p. 15-18.



البحث

1962-2012

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

مجلة دورية أكاديمية محكمة، تعنى بالتعليميات والعلوم الإنسانية
تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة - الجزائر



Dépôt légal 1134-2009 ISBN 1112-9557

العدد السادس : جانفي - جوان 2012